شبكة
الألوكة
www.alukah.net

مكتبة عنيزة

مخطوطة

أمثال القرآن

المؤلف

محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

قوله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا

خلقا مبتدأ وأحسنهم بضم النون خبره

هذه أمثال القرآن للشيخ محمد بن أبي بكر
المعروف بابن قيم الجوزية
أكمل الله تعالى ونفع به
آمين

لكاتبه عفا عنه ويعاتب نفسه

يا نفس لا تقنطي إن رحمة الله واسعه
ومن عفوه لا تيأسي فإن الآخرة شاسعه
فكيف لا يرجى بر من وآياديه فضله كامله

ليس الذي من بالإسلام حذيرا بأن يغرى
على قبائح قد سلفت ويدخلني بمنه دار السلام

فهرسة ما في هذا الكتاب

ما في هذا الكتاب من أشباه القرآن قاعدة في نعت جهنم
لابن تيمية قاعدة كافية لطيفة في الصلاة على النبي
كتاب نظم الجواهر لابن سيف الشيبانية مدرسة ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل ومن هذا ما وقع في القرآن من الامثال التي لا يعقلها الا العالمون فانها تشبه شيئا بشيء في حكمه وتقرن المعقول من احد المحسوسين بالاخر واعتبارا احدهما بالاخر كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون الى قوله ان الله على كل شيء قدير فضرب الله المنافقين بحسي حالهم مثلين مثلا نارا ومثلا ماءيا لما في النار والماء من الاضاءة والاشراق والحمة فان النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي انزله من السماء متضمنا لحياة القلوب والاستنارة بها وهذا اسماه روحا ونورا وجعله قابليه احيا في النور وهم لم يرفعوا برؤسهم اموات في الظلمات واخبر عن حال المنافقين بالنسبة الى حظهم من الوحي وانهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا الاسم دخلوا في الاسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به واستناروا به لطوا المسلمين ولكن لما لم تستصحبهم مادة منه قلوبهم منوره فعن الاسلام طفي عنهم وذهب الله بنورهم ولم يبق بايديهم فان النار فيها اضاءة والاحراق فاذهب الله بما فيها من الاضاءة وابقى عليهم ما فيها من الاحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من البس عمى وعرف ثم انكر ودخل في الاسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا يرجع اليه ولهذا قال فيهم فهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة

الى الما

الى المثل الماءي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي ينصب من
السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم
اشتبهت عليهم زواجر القرآن ووعيده وهديده وأوامره ونواهيه
وخطابه الذي يشبه الصواعق فجاءهم كل ما سمعوا به مطر
فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعفه وخوره جعل اصبعيه
في اذنيه وغمض عينيه حشية من صاعقة تصيبه وقد
شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة
اذا سمعوا شيئا من آيات الصفات واحاديث الصفات النافية
لبدعتهم وآرائهم عمدوا الى اصابعهم فجعلوها حشايا مستنقرة فرة من سورة
وقول مخنثهم سدوا عنا هذا الباب واقرأوا شيئا غير هذا اوتر ملؤهم
مواليه ولم يجعل لتعقل معرفة الرب تعالى واسمائه وصفاته
على عقولهم وقلوبهم وكذلك المشركون على اختلاف اشراكهم اذا جرد
لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطلة شركهم اشمأزت قلوبهم
وثقل عليهم ولو وجدوا السبيل الى سد اذانهم لفعلوا وكذلك
كلما عدا آدابي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا نصوص
الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثقل عليهم جدا وانكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل
محقق من اخوانهم من المنافقين والمثل الذي ضربه الله لهم بالماء
فاهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت اعمالهم

فصل

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المثلين الماء والنار في سورة الرعد

ولكنه في حق المؤمن فقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل
فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك
يضرب الله الامثال شبه الوحي الذي انزله لحياة القلوب والاسماع
والابصار بالماء الذي انزله لحياة الارض بالنبات وشبه القلوب
بالاودية فقلب كبير يسع علما كثيرا كالوادي الكبير يسع ماء كثيرا وقلب
قلب صغير انما يسع بحسبه كالوادي الصغير فسالت اودية بقدرها
واحتملت القلوب من الهدى والعلم بقدرها وكما ان السيل اذا خالط
الارض الغثاء ومر عليها حمل غثاء وزبدا فكذلك الهدى والعلم
اذا خالط القلوب انكر ما فيها من الشهوات والشبهات ليعلوها ويذ
هبها كما يثير الدواء وقد شربه من البدن اخلاطا فيتكبر بها شا
ربه وهو من تمام نفع الدواء فانه اذا ثارها ليذهب بها فانه لا يجا
وزايلها كلها وهكذا يضرب الله الحق والباطل ثم
ذكر المثل الناري فقال ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او
متاع زبد مثله وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة
والنحاس والحديد فيخرجه النار ويميزه ويفصله عنا الجوهر
الذي ينتفع به فيؤثر ويطرح ويذهب جفاء فكذلك الشهوات
والشبهات يرمي بها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح
السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث ويستقر في قرار الوادي
الماء الصافي الذي ينتفع منه الناس وينزرعون ويسقون انعا

مع كذلك يستغرق قراءة القلب وحدوة الايمان الى خالص الصافي
الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره ومن لم تنفعه هذه المثلين
ويتدبرها ويعرف ما يراد منها فليس من اهلها والله الموفق

فصل ومنها قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت الى قوله كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون شبه سبحانه الحياة الدنيا وزينتها وتقلب اهلها فيها
بنبات اختلط وتشابك بعضه ببعض فيعجبه فيميل اليها وهي اغتر ما
تكون منه فبينما هو كذلك اذ طرقه نازل من نوازل قضاء ربه فيها
بما كان اليها وصيله بينه وبينها فشبهها بالارض التي ينزل
الغيث عليها فتعشب وتحسن نباتها وتروق من نظر اليها فبينما
هو يظن انه قادر عليها مالك لها فيها امر الله فيذلك
نباتها الآفة بغتة فتصبح كان لم تكن قبل فيخيب ظنه ويصبح
بيده سفر منها فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء وهذا
مثل بليغ التشبيه والقياس ولو كانت الدنيا عرضة لهذه الافات
والخيبة سليمة منها قال والله يدعو الى دار السلام وهيئ منا
الصراط مستقيم لسلامتها من هذه الافات التي ذكرها والدنيا
مقر الدعوة اليها وحض بالهداية من يشاء فذلك عدله

فصل ومنها قوله تعالى مثل الفريقين
وهذا فضله والاصم والبصير والسميع هل يستويان الاية فانه سبحانه
ذكر الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون وما كانوا يبصرون

ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالايمان والعمل الصالح والاخبات الى ربهم
فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن فجعل احد الفريقين كالاعمى
والاصم من حيث كان قلبه اعمى عن رؤية الاشياء وسمعه اصم
عن سماع الاصوات والفريق الاخر بصير القلب سميعه كبصير
العين وسميع الاذن فتضمنت الاية قياسين وتمثيلين للفريقين
ثم نفى التسوية عنهما بقوله هل يستويان مثلا فصل
وهذا قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دونه اولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فذكر سبحانه انهم
ضعفاء وان الذين اتخذوهم اولياء اضعف منهم فهم في ضعفهم وهما
قصده من اتخاذ الاولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا وهو اوهن
البيوت واضعفها وبحسب هذا المثل ان هؤلاء المشركين اضعف
ما كانوا حتى اتخذوا من دون الله اولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوه
هم اولياء الا ضعفا كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى في
اتخذوا من دونه الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم
لهم جند محضرون وقال بعد ان ذكر هلاك الامم المشركة وانهم ظلموا
هم وكانوا ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون
الله من شيء فهذه ان بعينها مواضع في القرآن تدل على ان من اتخذ
من دون الله وليا ينتفع به وينكثر به ويستنصر به لم يحصل له به
الا ضد مقصوده وفي القرآن اكثر من ذلك وهذا من احسن الامثال
ودلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصول له على ضد

مقصوده

معصوده فان قيل فانهم يعلمون ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
فكيف ينفي عنهم تعليم ذلك بقوله لو كانوا يعلمون قلنا **الجواب**
ان سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت وانما نفى عنهم
بانهم اتخاذهم اولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتا فلو علموا
ذلك لما فعلوه ولكنهم ظنوا ان اتخاذهم الاولياء من دونه

فصل

تفيدهم عزا وقوة فكان الامر بخلاف ما ظنوه
ومثلهم له تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا الاية ذكر الله سبحانه للكافر مثلين
مثلى مثل بالسراب ومثل بالظلمات المتراكمة ودلل لانه المعرض عنى
عن الهدى والحق نوعان احدهما منتظم انه على شئ فيتبين
له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه وهذا حال اهل
البدع واهل الجهل والاهواء الذين يظنون انهم على هدى وعلم
فاذا انكشفت الحقائق تبين لهم انهم لم يكونوا على شئ وان
عقائدهم واعمالهم التى ترتبت عليها كانت كسراب بقيعة وعلى الناس
ظمأ ولا حقيقة له وهكذا الاعمال التى لغير الله وعلى غير امره
يحسبها العامل نافعة وليست كذلك وهذه هى الاعمال التى قال
الله عز وجل فيها وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا فتأمل جعله سبحانه السراب بالقيعة وهى ارض
العفو الخالية من البناء والشجر والنبات والعالم يحمل السراب
ارضا قفرا لا شئ فيها والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق لاعمال
وطلوعهم الى اقفر ما من الايمان والهدى وتأمل كيف قوله

يحسبه الظمآن ماء والظلمات الذي قد استشعر عليه فرأى السراب
فظنه ماء فتبعه فلم يجده شيئا بل خانه احوج ما كان اليه فكذلك
هؤلاء لما كانت اعمالهم على غير طاعة الرسل ولغير الله جعلت كالسراب
وقد عمدوا اليهم اعمالا كانوا احوج ما كانوا اليها فلم يجدوا شيئا و
جدوا الله سبحانه فجازاهم باعمالهم ووافاهم حسابهم وفي الصحيح
من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
التجلي يوم القيمة ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها السراب فيقال لليهود
ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن
لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد ان تسقينا فيقال
اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون
قالوا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا
ولد فما تريدون قالوا نريد ان تسقينا فيقال لهم اشربوا
فيتساقطون فذكر الحديث وهذه حال كل صاحب باطل فانه
يحوم على باطله احوج ما كان اليه فان الباطل لا حقيقة له وهو كالسراب
بالفلاة فاذا كان الاعتقاد غير مطابق والاحق كان متعلقه باطلا و
كذلك اذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله وعلى غير امره يبطل
العمل ببطلان غايته ويضر عامله ببطلانه وحصول ضد ما كان
يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار
معدوما بفوات نفعه وحصول ضد النفع فلهذا وجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب فهذا مثل الضال الذي

يحسب

فصل النوع الثاني من اصحاب المثل
يحسبون عليه انهم على هدى
الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا الحق والهدى واثروا على ظلمات
الباطل والضلال فتراكمت عليهم ظلمة الطبع وظلمة التقوس و
ظلمة الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة اتباع
الغي والهوى فصاروا كمن كان في بحر لجي لا ساحل له وقد
غشيه موج من فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحاب
مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وهذا نظير
ما هم فيه من الظلمات التي لم يخرجهم الله منها الى نور الايمان وهذان
المثلان بالسراب الذي تطنه مادة الحياة وهو الماء والظلمات المضا
دة للنور ونظير المثلين الذين ضربهما الله للمنافقين والمؤمنين
وهما المثلان المائي والمثل الناري وجعل حظ المؤمنين منهما
الحياة والاشراق وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والموت
المضاد للحياة فكذلك الكفار ضرب لهذين المثلين حظهم من الماء
السراب الذي يغر الناظر ولا حقيقة له وحظهم الظلمات المتراكمة
وهذا يجوز ان يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار
وانهم عدموا مادة الحياة والاضاءة باعراضهم عن الوحي
فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد ويجوز ان يكون المراد به
اصناف الكفار واما اصحاب المثل الاول هم الذين عملوا
بمقتضى العقول بل على جهل وحسن ظن بالاسلاف فكانوا
على غير علم ولا بصيرة

يحسبون انهم يحسنون صنعا واصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا
الضلالة على الهدى واثروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد ان
ابصروه وجحدوه بعد ان عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم
والاول حال الضالين وحال الطائفتين تخالف لحال المنعم عليهم
المذكورين في قوله الله نور السموات والارض الاية فتضمنت
الايات اوصاف الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم اهل النور
والضالون وهم اصحاب البرزخ والمغضوب عليهم وهم اهل
الظلمات المتراكمة والله اعلم فالمثل الاول من المثلين لاصحاب
العمل الباطل الذي لا ينفع فاولئك اصحاب الباطل وهؤلاء اصحاب
العلم الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى
ودين الحق وهذا مثل حال الغريق حال الثاني وتلك لطم
امواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة وقلوبهم بمثل الطم
امواج البحر فيه وانها امواج متراكمة مضاعفها سحاب مظلم و
هكذا امواج الشكوك والشبه وقلوبهم المظلمة الى قدر الكفر
عليها سحب الغي والهوى والباطل فليتدبر اللبيب اصول
الفريقين وليقابل بينهم وبين المثلين يعرف عظمة القرآن
وجلالته وانه تنزيل من حكيم حميد واخبر سبحانه ان الموجب
لذلك انه لم يجعل لهم نورا بل تراكم على الظلمة التي خلقوا فيها فلم
يخرجهم منها الى النور فانه سبحانه ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات

الى النور

الى النور وهذا المسند من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره
فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول
جف القلم على علم الله فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة فمن اراد
هدايته جعل له نورا وجود يحيى به قلبه وروحه كما يحيى بدنه
بالروح التي ينفخها فيه فهما حياتان حياة البدن بالروح وحياة
الروح والقلب بالنور وهذا اسمى سبحانه الوحي روحا لتوقف الحياة
الحقيقة عليه كما قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الاية فجعل وحيه روحا ونورا
فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورا منه فهو في
الظلمات ما له من نور

فصل ومنها قوله تعالى ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
فشبه اكثر الناس بالانعام والجامع بينهما النقص في كل واحد
قبول الهدى والانقياد له وجعل الاكثرين اضل سبيلا من الانعام
لان البهيمة تهدي هاديها منقادة وتتبع الطريق فلا تحيد
عنها يمينا ولا شمالا والاكثرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل
فلا يستجيبون ولا يهتدون والانعام تفرق بين ما يضرها وبين ما
ينفعها والانعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق فتجتنبه
وما ينفعها فتؤثره والله تعالى لم يخلق للانعام عقولا تعقل بها

ولا السنة تتكلم بها واعطاء ذلك كله ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من
العقل والعلوم والالسنة والاسماع والابصار فهم اضل من البهائم
فان من لا يهتدي الى الرشد والى الطريق مع الدليل اليه اضل واسوء
حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه **فصل** ومنها قوله
تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما
وهذا دليل قياسي احتج الله به على المشركين حيث جعلوا
له من عبيده وملكه شركاء فاقام عليهم حجة يعرف صحتها
من تعرفهم لا يحتاج فيها الى غيرهم ومنها ايضا الحجاج ان ياخذ
الانسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها
معلوم لها فقال هل لكم من ما ملكت ايمانكم من عبيدكم واماءكم
شركاء فيما رزقناكم من الاموال والاهل اي هل يشارككم عبيدكم في اموالكم و
اهليكم فانتم وهم في ذلك سواء تخافونهم اي تخافون ان يقاسموكم اموالكم ويشا
ركوكم اياها ويستأثروا ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه
وقال ابن عباس تخافون ان يرثكم كما يرث بعضكم بعضا والمعنى
هل يرضى احد منكم ان يكون عبده شريكه في ماله واهله حتى
يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف ان ينفرد في ماله بما يتصرف
فيه كما يخاف غيره من الشركاء والاحرار فاذا لم ترضوا
ذلك لانفسكم فكيف عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فان
هذا الحكم باطل في فطركم وعقولكم مع انه جائز علي كما يمكن
في حقكم ان تملكوا عبيدكم ملكا لكم حقيقة وانا هم احرار لكم جعلهم الله
لكم اندادا

شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب الله بكم وانتم وهم عباد لي مكلف تسخيرهم ومثل هذا الحكم
فاحفظ معاني من جعلتهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي فهذا
يكون بتفصيل الايات لاولي العقول **فصل** ومنها قوله
تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا الى قوله وهو على
كل شيء مستقيم هذا مثل ان يتضمنا قياسين منافيا س العكس
وهو نفي الحكم لنفي علته وهو صحيح فان القياس نوعان قياس
طرد يقتضي اثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الاصل وقياس
عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه فالمثل الاول
ما ضرب الله لنفسه وللاوثان فالله سبحانه هو الالك لكل شيء يتعق
كنه ثناؤه على عبيده سرا وجهرا وليلا ونهارا بمنه ملاء لا مقبضها
نفقة سحاء الليل والنهار والاوثان مملوكة عاجزة لا تقدر
على شيء فكيف تجعلوها شركاء لي وتعبدونها دوني مع هذا
التفاوت العظيم والفرق البين هذا قول مجاهد وغيره وقال ابن
عباس هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ومثل المؤمن في الخير
الذي عنده يتقرب منه ويتنفل منه على نفسه
وعلى غيره سرا وجهرا والكافر بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر
على شيء لانه لا خير عنده فهل يستوي الرجلان عند احد من العقلاء
والقول الاول اشبه بالمراد فانه اظهر في بطلان الشرك واوضح
عند المخاطب واعظم في اقامة الحجة واقرب منها لعقوله ويعيدون

من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون
الى ان قال وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر ومن لوازم
هذا المثل واحكامه ان يكون المؤمن الموحد كمن رزقه الله
منه رزقا حسنا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر
على شيء فهذا ما نبه عليه المثل ورشد اليه فذكره ابن عباس
منبها على ان الله لما ان الالهية اختصت به فما ملكه فانك تجد كثيرا
من كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن فيظن الظان
ان ذلك هو معنى الالهية لا معنى لها غيره فيحكيه قولا

فصل

واما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله لنفسه وما يعبد من
دونه اصنما فالصنم الذي يعبد ومن دون الله بمنزلة رجل
ابكم لا يعقل ولا ينطق بل هو ابكم لعلل قد عدم النطق
القلبي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة
ومع هذا فانه كان يسلطه لا يأت بخير ولا يقضي لك حاجة والله
سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وهذا
وصفه بغاية الكمال والحمد فانه امر بالعدل وهو الحق يتضمن
انه سبحانه عالم به محب له راض به آمر لعباده به محب لاهله
وانما يسعاه وشرعه عدل كله واهل العدل هم اولياؤه
واحباؤه وهم المجاورون له عن يمينه على منابر من نور و
امره بالعدل يتناول الامر الشرعي الديني والامر القدري
الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما فالحديث صحيح

اللهم

اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىّ
حكمك عدل فىّ قضاؤك تقضاؤه هو امره الكونى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فلا يامر الا بالحق والعدل
وقضاؤه وقدره النافذ به حق وعدل وان كان فى المقضى
المقدور به هو جور وظلم فالقضاء المقضى والعدل غير
المقدور سبحانه انه على صراط مستقيم وهذا نظير قول لقمان لابنه
هود انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وقوله ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها نظير قوله ناصيتى بيدك وقوله ان ربى على صراط
مستقيم نظير قوله عدل فىّ قضاؤك فالاول ملكه والثانى حمده
وهو سبحانه له الملك وله الحمد وكونه سبحانه على صراط مستقيم
يقتضى انه لا يفعل الا الاحق ولا يقول له ولا يفعل فلا يقضى على
العبد بالكون الذى له به ولا يأخذه بغير ذنب ولا ينقصه من
حسناته شيئا ولا يحمل عليه من سيئات غيره الى غير ذلك مما
تسمعه بها شيئا ولا يؤاخذ احدا بذنب غيره ولا يفعل قط ما
لا يحمد عليه ويثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة
والغايات المطلوبة فان كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله
قال محمد بن جرير الطبرى وقوله ان ربى على صراط مستقيم يقول
ان ربى على طريق الحق يجازى المحسن منا خلقه باحسانه
والمسئ باساءته لا يظلم احدا منهم شيئا ولا يقبل منهم الا الاسلام له

والايمان به ثم حكى عن مجاهد من طريق سئل عن ابن ابي نجيح عمران ربي
على صراط مستقيم قال الحق وكذلك رواه ابن ابن جريج عنه وقالت
فرقة هي مثل قوله ان ربك ليلمرصاد وهذا اختلاف عبارة قالت
كونه بالمرصاد هو مجازاته المحسن باحسانه والمسيئ باساءته وقالت
فرقة في الكلام حذف تقديره ان ربي يحشركم على صراط مستقيم ويحضركم
عليه وهؤلاء ان اراد وا ان هذا معنى الاية الذي اريد بها فليس كما
زعموا ولا دليل على المقدر وقد وفق سبحانه بين كونه آمرا بالعدل
وبين كونه على صراط مستقيم وان اراد وا ان صحته على الصراط المستقيم
من جملة كونه على صراط مستقيم فقد اصابوا وقالت فرقة
اخرى معنى كونه على صراط مستقيم ان امر العباد والامور كلها الى الله
لا يفوته شئ منها وهؤلاء ان اراد وا ان هذا معنى الاية فليس كذلك
وان اراد وا ان هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه
وموجبه فهو حق وقالت فرقة اخرى معناه كل شئ تحت
قدرته وقهره وفي ملكه وقبضته وهذا وان كان حقا فليس هو
معنى الاية وقد قال عليه السلام في قوله فيما رواه عنه ربه الا هو
اخذ بناصيتها وبنا حق وهو قول ائمة التفسير ولا يحمل العربية
فالمعقول قوله مجاهد وهو قول ائمة التفسير ولا يحمل العربية
غيره الا على تكلف قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

امير المؤمنين على صراط ... اذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى من يشاء الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم
واذا كان سبحانه هو الذي جعل رسله وانبياءهم على الصراط المستقيم

في اقوالهم

على اعوجاجهم وافعالهم فهو سبحانه احق بان يكون على الصراط المستقيم
في قوله وفعله وان كان صراط الرسل هم وابناعهم هم موافقة
امره فصراطه الذي هو بكلمته عليه هو بما يقتضيه حمده وكماله
وبحبه من قول الحق وفعله وبالله التوفيق

فصل

وفي الآية قول ثالث مثل الآية الاولى سواء الله ضرب الله للمؤمنين و
الكافرين مثلا يعتبر بما في هذا القول والله الموفق

فصل

ومنها قوله تعالى في شبه من اعرض عن كلامه وتدبره فالهم عن
التذكرة بحمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم
في اعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر الاسد والرماة منفرة
منه وهذا من بديع القياس التمثيلي فان القوم من جهلهم
بما بعث الله به رسوله كانهم لما تحمل منهم لا تعقل شيئا فاذا سمعت صوت
الاسد او الرامي نفرت منه اشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء
فانهم نفروا من الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر
عما يهلكها ويضرها وتحت المستنفرة معنى ابلغ من النافرة
فانها للشدة تنفر هاربة وقد استنفر بعضها بعضا وصيغه على التفعل
فان في الاستنفار من الطلب وقوة التحريك على الفعل المجرد فكانها
نفرت بالتضعيف وتواطئت عليه ومنفرها بفتح الفاء
المعنى اي العشوزة استنفرها وحملها على النفور بياسه وشدة

فصل

ومنها قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بايات الله الآية فقاس من حمله سبحانه كتابه ليتدبر معانيه ويتدبر

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويعمل به ويدعو اليه ثم خالف ذلك ولم يحمله الا على ظهر مثلي مؤدبه
بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له وتحكيم له وعمل بموجبه كحمار
على ظهره اسفارا لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على
ظهره وليس الا لحظه منها كذلك هذا الحمار من الكتب
الذي على ظهره هذا المثل وان كان قد ضرب لليهود فهو متناول
مناحيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم
يرعه حق رعايته **فصل** ومنها قوله تعالى قد اتل
عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الآية فشبه سبحانه من
اتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه عزه فترك العمل به واتبع
هواه واثر سخط الله على رضاه ودنياه على آخرته والمخلوق
على الخالق بالكلب الذي هو من اخبث الحيوانات واوضعها
همة واخبثها نفسا وهمة لا تعتد بطنه واشدها شرها
ولا يزال يتبع دبره دون سائر اجزائه ولذلك مثل له
بحر رجع اليه ليعصره منافر طهمته ومن اهون الحيوانات
واحلها للهوان واوراثها بالدناءة والخسة العذرة المرذوحة
احب اليه من اللحم الطري والعذرة احب اليه من الحلوى واذا
ظفر بميتة تكون ميتة كلب لم يدع كلبا بينا ولا منها شيئا الا عن غلبة
ومهما لحسه ونحله وشرهه ومن عجيب امره وحرصه
انه اذا رأى داعية ريبة وثيابه دنيئة وحاله رديه

فنحه وحمل عليه كانه يتصور مشاركته له ومنازعته وقوته
وذا ذا هيئة حسنة وثياب جميلة وعمامة وصنع له
خطمه وزال رضا وصنع له ولم يرفع اليه راسه وفي مثنيه
متاع الدنيا وعاجلها على الله والدار الاخرة مع وقوع
علمه بالكلب وقال لهفه سترى يديه وهو ايضا حذا الذي
حاله يذكره الله متاع سلاحه متاعه واتباعه هواه
انما كانت لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله
والدار الاخرة فهي شديد اللهف عليها ولهفه نظير لهف الكلب
الدابر فحال حذا جاعه وتركه واللهث والله شقيقان
واخوان في اللفظ والمعنى قال ابن جريج الكلب منقطع العقاد
لا فؤاد له انما يحمل عليه بلهثه وانما تركه بلهث مثل الذي يترك
الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع قلت مراده بانقطاع
فؤاده انه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا هذا
الذي انسلخ من ايات الله لم يبق له فؤاد يحمله على الصبر وترك
لهفه عن الدنيا وترك اللهث عليها فهذا يلهث على الدنيا
من قلة صبره عليها وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء فالكلب
من اقل الحيوان صبرا عن الماء واذا اعطش اكل التراب من
العطش واذا كان فيه صبر عن الجوع وعلى كل حال فهو من اشد
الحيوان لهثا يلهث قائما وقاعدا وماشيا وواقفا وذلك لشدة
حرصه فحرارة الحرص وكثيرة توجب له اللهث فهذا مشبهه لشدة
الشهوة في قلبه حتى جب له دوام اللهث فان حمله عليه بالموعظة

والنصيحة فهو يلهث وان تركته ولم يعظه فهو يلهث قال مجاهد
وذلك مثل الذي اوتي الكتاب ولا يعمل به وقال ابن عباس
ان يحمل عليه الحكمة لا يحملها وان تركه لم يهتد الى الحق كالكلب
ان كان رابضا لهث وان طرد لهث ومثل الخسيس هو المنافق
لا يثبت على الحق ادعي او لم يدع وعظ او لم يوعظ كالكلب
يلهث طرد او ترك وقال عطاء يتبع ان حملت عليه او لم تحمل
وقال محمد بن قتيبة كل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء
او عطش الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال وحال الراحة
وحال الصحة وحال المرض والعطش مضرب الله مثلا لمن
كذب بآياته وقال ابن عطية فهو مثال وان تركه فهو مثاله
كالكلب ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث ونظيره قوله
تعالى ان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وتمام مثل ما في هذه الآية من الحكم والعبر
فمنها قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها
اتاه آياته فانسلخ منها والله هو الذي رفع بها عليه فاضاها
الى نفسه ثم قال فانسلخ منها اي خرج منها كما تنسلخ
الحية من جلدها وفارقها وزاق الجلد بالسلخ عنه اللحم ولم
يعلق فسلخناه منها لانه هو الذي تسبب الى انسلاخه منها
باتباع هواه ومنها قوله سبحانه فاتبعه الشيطان
لحقه وادركه كما قال تعالى فاتبعوا امر فرعون فاتبعوهم

مشرقي

مشرقين فكان صحفوظا صحيحا وسايات الله يجيء الجاني بها من الشيطان
لا ينال منه شيئا الا على غرة وضعفة فلما انسلخ من ايات الله
طفق به الشيطان فكان من الغاوين
العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه
كعلماء السوء ومنها انه سبحانه قال ولو شئنا لرفعناه
بها فاخبر سبحانه ان الرفعة عنده ليس بمجرد العلم فان هذا
كان من العلم وانما هي باتباع الحق وايثاره وقصد مرضات الله
فان هذا كان من علم اهل الكتاب ولم يرفعه الله بعلمه
ولم ينفعه به فنعوذ بالله من علم لا ينفع واخبر سبحانه انه هو
الذي يرفع عبده اذا زكاه بما اقامه من العلم والايمان لم يرفعه
الله فهو موضع لا يرفع به احد وان قام الرافع ان فضا
به حفظه فلم يرفعه والمعنى ولو شئنا فضلنا به وشرفناه
ورفعنا قدره ومنزلته بالايات التي اتيناه قال ابن عباس
ولو شئنا لرفعناه بعلمه بها وقالت طائفة
الطمير في قوله لرفعناه عايد على الكفر والمعنى لو شئنا لقضينا
عنه الكفر بما معه من الايات قال مجاهد وعطا لرفعنا عنه
الكفر بالايمان وعصمناه وهذا المعنى حق والاول هو مراد
الاية وهذا من لوازم المراد وقد تقدم ان السلف كثيرا ما
يتجوزون على الامام بحكم الاية فيقولون الظاهر ان ذلك هو
المراد منها وقوله ولكنه اخلد الى الارض قال سعيد

ابن جبير ركن الى الارض وقال مجاهد سكن وقال مقاتل رضي بالدنيا
وقال ابو عبيدة لزمها واسباط والخلد من الرجال هو الذي يبطئ مشيته
ومن الدواب الذي يبقى ثناياه الى ان تخرج رباعيته وقال الزجاج خلد
واخلد واصله من الخلود وهو الدوام والبقاء يقال اخلد فلان
بالمكان اذا اقام به قال امالك بن نويرة ☆ باسباع حي من بنا لك مالك ☆
وعمرو بن مرثد بعوا اقاموا فاخلدوا ☆ قلت ومنه قوله تعالى
يطوف عليهم وِلدان مخلدون اي قد خلقوا للبقاء لذلك لا يتغيرون ولا يكبرون
وهم على ذلك ابدا وقيل هم المقطعون اذانهم والمسوّمون في ايديهم
واحتج بهذا القول من فسر اللفظة ببعض الوان هذا وذلك امارة التخليد
على ذلك السن فلانا فيبقى العرلني وقوله واتبع هواه قال
الكلبي اتبع سافل الامور وترك معاليها وقال ابو روق اختار الدنيا
على الآخرة وقال عطاء اراد الدنيا واطاع شيطانه وقال ابن زيد كان
هواه مع القوم يعني الذين كانوا مع موسى وقومه وقال ايمانا اتبع امرأته
ارضاها الى جملته على ما فعلها فان قيل الاستدراك يكون
بعقب ان يثبت بعدها نفي قبلها او ينفي ما اثبت كما تقول لو
شئت لاعطيته لكني لم اعطه ولو شئت لما فعلت لكن الكني
فعلته فالاستدراك يقتضي ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم
نشأ او فلم يرفع ولكنه اخلد فكيف استدرك بقوله ولكنه
اخلد الى الارض بعد قوله لشئنا لرفعناه بها قيل
هذا من الكلام المحمول فيه جانب المعنى المعدول فيه عن مذاعاد

ويوضح

الالفاظ

الا لغائل الى المعنى وذلك ان مضمون قوله ولو شئنا لرفعناه بها انه
لم يتعلق الاسباب التي تقتضي رفعه بالايات منا ان شئنا الله ورضاه
على هذه ولكنه اثر الدنيا وخلد الى الارض واتبع هواه ومثال الزمخشري
المعنى ولو لزم ايانا لرفعناه بها فذكر المشيئة والمراد ما هو تابعة
له ومشيئته عنه قال الاشاعرة الى قوله ولكنه اخلد فاستدرك
المشيئة بما خلاده الذي هو مقابله فوجب ان تكون ولو شئنا في معنا
لما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه
ولكنا لم نشأ وهذه منه اي الزمخشري شنشنة نعرفها
من قدري نافي للمشيئة العامة [illegible] معتد للنجعه في جعل كلام الله
معتزليا قدريا فان قوله ولو شئنا منافي قوله ولو لزمها لانه اذا كان
اللزوم لكان موقوفا على مشيئة الله وهو الحق بطل اصله
وقوله فان مشيئة الله تابعة للزومه الايات منافسد الكلام وابطله
بل لزومه الاية تابع لمشيئة الله فمشيئة الله سبحانه متبوعه
اذ تابعة وسببا لاسبب ومعجب يقتضي لا يقتضي فما شاء الله
وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده

فصل

ومنها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية وهذا من احسن القياس التمثيلي فان سببه
تمزيقا عرض الاخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرضا اخيه
في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه وحاله غيبته وحده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنه بالموت ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن ذمه
كان بمنزلة الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولما كان
مقتضى الأخوة الرحم والوصل والتناصر فعلق عليها المغتاب
عند مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك بمنزلة تقطيعه
لحم أخيه والأخوة مقتضى حفظه وصيانته والذب عنه ولما كان
المغتاب متفكها بعرض أخيه مستمتعا بغيبته وذمه متخليا بذلك
شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به
شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا ومحبته لذلك وقد زاد على مجرد
أكله كما أن أكله قد زاد على بعضه فتأمل هذا التشبيه
والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل
إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتا ووصفهم بذلك ذاكرا له والإنكار
عليهم في أولها بحب أحدهم ذلك فكما أن هذا المكروه في طباعهم
فكذلك يجب أن يكون ما هو مثله ونظيره فاجتنبوه عليهم بما كرهوه على ما
أحبوه وشبه لهم ما يجب أن يجتنبوه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه
فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة
عما هو نظيره وشبيهه وبالله التوفيق

فصل

ومما قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف الآية فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم
الانتفاع بها برماد مر عليه ريح شديدة في يوم عاصف فشبه
سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على
غير أساس من الإيمان والإحسان ولكونها لغير الله عز وجل وعلى

غير أمره

عز امره صرصر طيرته ريح عاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت
شدة حاجته اليه فكذلك قال لا يقدرون مما كسبوا على شيء لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء فلا يرجون له اثرا من ثواب ولا زلفة
نافعة فان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه موافقا لشرعه
والاعمال اربعة اقوال معقول وثلاثة مردودة فالمعقول الماكل
السوء فان الله لا يغره والصواب ان يكون مما شرعه على لسان
رسوله والثلاثة المردودة ما خالف ذلك ومثلهما بالرماد شديد
ذلك للمشابهة الذي بين اعمالهم وبين الرماد في احراق النار واذهابها
لاصل هذا وهذا فكانت الاعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة النار
وبها شبه النار على اصحابها وشبه الله سبحانه وتعالى ما من اعمالهم الباطلة
طلة نار وعذابا بشيء لاهل الاعمال الموافقة امره الى هو خالصة
لوجهه من اعمالهم نعيما ورياضا فاشرف النار في اعمال اولئك حتى جعلتها
لربها داضحة واعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار

فصل

ومنها قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها
كل حين باذن ربها الاية فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة
ان الكلمة الطيبة ثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة ثمر الكرم النافع
وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي
شهادة ان لا اله الا الله فاصلها ثمر جميع الاعمال الصالحة الظاهرة
والباطنة فكل عمل صالح مرجعه لله ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي
بن طلحة عن ابن عباس قال الكلمة طيبة شهادة ان لا اله الا الله
كشجرة طيبة وهو المؤمن اصلها ثابت قول لا اله الا الله وقلب المؤمن

وفرعها في السماء يعني ارتفع بها عمل المؤمن الى السماء وقال الربيع بن انس
كلمة طيبة وهذا من الايمان فالايمان الشجرة الطيبة واصلها الثابت
الذي لا يزال الاخلاص فيه وفرعه في السماء خشية الله والتشبيه
على هذا القول اصح وهو اظهر واحسن فانه سبحانه شبه شجرة
التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الاصل الباسقة الفرع
في السماء علوا التي لا تزال تؤتي ثمرها كل حين واذا تاملت
هذا التشبيه رأيته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب
التي فروعها من الاعمال الصالحة صاعدة الى السماء ولا تزال هذه
الشجرة تثمر الاعمال الصالحة كل وقت بحسب ثمارها في القلب وصحة
القلب لها واخلاصه فيها وموافقته بحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاة
حقوقها فمن راعى شجرة قلبه هذه الكلمة بحقيقتها التي هي حقيقتها
واصلح قلبه لها واصبغ بها بصبغة الله التي لا احسن صبغة منها
عرف حقيقة الالهية التي تستحقها قلبه لله وشهد بها لسانه وصدق
جوارحه وتولى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله ووافق قلبه
لسانه في هذا النفي والاثبات وانقادت جوارحه لمن شهد لها بالوحدانية
طائعة سالك سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا كما لا
يبغي القلب سوى معبوده الحق بدلا فلا ريب ان هذه الكلمة
من هذا القلب على هذا اللسان كالشجرة التي تؤتي ثمرها من العمل الصالح
الصاعد الى الله كل وقت فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل
الصالح الى الله تعالى فهذه الكلمة الطيبة تثمر كل عمل كثير طيب لقائلها
عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه فاخبر سبحانه ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب

واخبر ان

واخرا ان الكلمة الطيبة تتمثل لقائلها عملا صالحا كل وقت والمقصود
ان كلمة التوحيد اذا شهدها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها نفيا و
اثباتا منتفيا بموجبها قائما بقلبه ولسانه وجوارحه بشهادة هذه
الكلمة منتجة الشاهد اصلها ثابت راسخ في قلبه وفرعها متصلة
بالسماء وهي مخرجة ثمرتها كل وقت وهذا السلف من قال ان
الشجرة الطيبة هي النخلة ويدل عليه حديث ابن عمر الصحيح ومنهم من
قال هي المؤمن نفسه كما قال محمد بن سعد حدثني ابي حدثني عمي حدثني
ابي عن ابيه عن ابن عباس قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة يعني بالشجرة الطيبة المؤمن ومعنى بالاصل في الارض
الفرع في السماء يكثر المؤمن من يعمل في الارض ويتكلم فيبلغ قوله وعمله
السماء وهو في الارض وقال عطية العوفي ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة قال ذلك مثل المؤمن لان الخير الخارج من كلام طيب
وعمل صالح يصعد الى الله وقال الربيع بن انس اصلها ثابت
وفرعها في السماء قال ذلك المؤمن ضرب مثله في الاخلاص لله وحده لا
شريك له اصلها ثابت قال اصل عمله ثابت في الارض وفرعها في السماء
قال ذكر في السماء والاختلاف بين العوفي يعني المتقدم وقول ابن انس
قال ذكر في السماء والنخلة شبه به وهو شبه بها واذا كانت
النخلة شجرة طيبة فالمؤمن من المشبه بها اولى ان يكون كذلك ومن قال
من السلف انها شجرة في الجنة فالنخلة اشرف اشجار الجنة وفي هذا
المثل من الاسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي
تكلم به وحكمته فمن ذلك ان الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع
وورق وثمر فكذلك شجرة الايمان والاسلام لما كان المشبه المشبه به

فروعها العلم والمعرفة واليقين وساقها الاخلاص وفروعها الاعمال
وثمرتها ما يجبه الاعمال الصالحة من الاثار الحميدة والصفات الممدوحة
والاخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل المرضي فيستدل
على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الامور فاذا كان
العلم صحيحا مطابقا للمعلوم الذي انزل الله كتابه به والاعتقاد مطابقا
لما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسله والاخلاص تابعا
في العلم والاعمال موافقة للامر والهدى والدل مشابها لهذه الاصول
علم ان شجرة الايمان في القلب اصلها ثابت وفرعها في
السماء واذا كان الامر بالعكس علم ان القائم بالقلب انما هو الشجرة
الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض مالها من قرار وهذه
ان الشجرة لا تبقى حية الا بمادة تسقيها وتنميها فاذا قطع عنها السقي
ايبست فهكذا شجرة الايمان في القلب اذا لم يتعاهدها صاحبها
بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح والعود بتذكر على التفكر
والتفكر على التذكر والا اوشك ان تيبس وفي مسند الامام احمد من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان
ليخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا ايمانكم وبالجملة فالنفوس
اذا لم يتعاهدها صاحبها اوشك ان تهلك ومن هنا تعلم شدة حاجة
العباد الى ما امر الله به من العبادات على تعاقب الاوقات و
عظم رحمته وتمام نعمته واحسانه الى عباده بان وضعها عليهم
وجعلها مادة لسقي غرس التقوى حيث الذي غرسه في قلوبهم
ومنها ان الغرس والزرع النافع قد اجرى الله سبحانه

العلم دة

العادة انه لا يبدأ بحاجة لطعام دغل ونبت غريب ليس من جنسه فان تعاهده
ربه وتفقده وعلفه كل الغرس والزرع واسقاه دام نباته وكان اوفر
لثمرته واطيب وان كان شركه او شك ان يغلب على الغراس
والزرع ويكون الحكم له او يضعف الاصل ويحيل الثمرة ذميمة ناقصة
بحسب كثرته وقلته ومتى لم يكن له فقه في نفس هذا ومعرفة بمادة
ريح كثير وهو الاشوك العلو من دائما سقيه فشان سوء هذه الشجرة
وتنقيته ما حولها فيسقيها تبقى ويدوم وبتنقيته ما حولها
تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان فهذا بعض ما تضمنه
هذا المثل العظيم الجليل من الاسرار والحكم ولعلها قطرة من بحر
بحسب اذهاننا الواقعة وقلوبنا المخبطة وعلومنا القاصرة
وداعيا الى موجب التوبة والاستغفار والاقلاع عما نحن فيه من القلوب
وصفة الاذهان وزكت النفوس وخلصت الاعمال وتجردة العلم
للبقي عن المعبود وله لك هدنا من هاتك كلام الله واسراره وحكمه
ما تضمحل عنده العلوم وتبطل اشى عنده معارف الخلق وهذا يعرف
قدر علوم الصحابة ومعارفهم وان التفاوت الذي بين علومهم و
علوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والله اعلم

فصل

حيث يحل مواقع فضله ومتاجر رحمته
ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض فلا
عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زكية فلا ظل ولا جناء ولا
ساقها ينابيع ولا عرق في الارض ثابت فلا اسفلها مغدق ولا اعلاها
هامق ولا جناها دان ولا متعلق بل تعلى واذا مثل الخبيث
اكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده كذلك فالحشف ان كل الخشب

الوقوف عليه والاشتغال به عن افضل الكلام وانفعه قال الضحاك
ضرب الله مثل الكافر بشجرة اجتثت من فوق الارض ما لها من
قرار يعني ليس لها اصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة كذلك
الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة
وقال ابن عباس ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة
يعني الكافر اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يعني الشرك
ليس له اصل يأخذ به الكافر ولا يرتفع ولا يقبل الله مع الشرك
عملا فلا يقبل عمل المشرك ولا يصعد الى الله فليس له اصل ثابت
في الارض ولا فرع في السماء يعني ليس له عمل صالح في السماء ولا في الارض
وقال ابن بريج بناء الشجرة الخبيثة مثل الكافر ليس
يعني له ولا لعمله اصل ولا فرع يستقر قوله ولا عمله على الارض
ولا يصعد الى السماء وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية ان رجلا
يعني رجلا من اهل العلم فقال له يعني في هذه الكلمة الخبيثة قال
يعني علم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق
صاحبها حتى يوافي بها يوم القيمة وقوله اجتثت من فوق
الارض اي اسوق صلتا من فوق الارض ثم اخبر سبحانه عما فضله
وعدله في الفريقين اصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث فاخبر انه
يثبت الذين امنوا بالقول الثابت احق بما يكون توفيقا اليه والدنيا
والاخرة وانه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت
فمنهم هدى الله بعدله لظلمهم وثبت المؤمنين بفضله لايمانهم
وحكمته وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في

خبر مقدم

الحياة الدنيا

مطلب

الحياة الدنيا وفي الآخرة كنز عظيم من وفق لمطلبه واحسن
سعيه واصابه ومن اتقى الله فقد غنم ومن حرمه فقد حرمه وذلك
ان العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فان لم يثبته والا
زلت به قدماه وارداه عن مطلوبه ومرضاته قال تعالى لاكم خلقه عليه
وسوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال تعالى
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وفي الصحيحين
من حديث النجلي قال وهو يثبتهم ويثبتهم وقال تعالى لرسوله وكلا
نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فالحق كله قسمان
موفق بالتثبيت ومخذول لتركه التثبت ومادة التثبيت واصله
ومنشاه من العقل الثابت وفضل ما امر به العبد فيما يثبت امر عبده
فكل من كان اثبت عقلا كان اعظم تثبتا قال تعالى
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا فاثبت الناس
قلبا اثبتهم عقولا والعقل الثابت هو العقل الحي والصدق وهو ضد
العقل الباطل الكذب فالعقل نوعان ثابت له حقيقة وباطل لا حقيقة
له واثبت العقول كلمة التوحيد ولوازمها فهي اعظم ما يثبت به عبده
في الدنيا والآخرة وهذا شأن الصادق فانه اثبت الناس واشجعهم
قلبا والكاذب منافقهم الناس فاصبح واكثرهم تلونا واقلهم ثباتا
واهل الغرائز يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقوة الاختبار
وشجاعته وهيبته ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك ولا يخفى ذلك
الا على ضعيف البصيرة وسئل بعضهم عن كلام سمعه من تكلم به
فقال والله ما فهمت منكلامه شيئا الا اني رأيت لكلامه صولة ليس
بصولة مبطل فان مخ العبد مخة افضل من مخة العقل الثابت

وبين اهل القول الثابت بمرة اصح مما يكون منه في قبره يوم
معاده كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه هذه الآية نزلت في عذاب القبر وقد جاء هذا مبينا
في احاديث صحاح فمنها ما في المسند من حديث داود بن
ابي هند عن ولي نضيرة عن ابي سعيد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في جنازة فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا
الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك بيده مطرقة فاقعده
فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول له
صدقت فيفتح له بابا الى النار فيقال له هذا منزلك لو كفرت
بربك فاما اذ امنت بربك فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له بابا
الى الجنة فيرى زينتها فيقال له اسكن ثم يفسح له في قبره
واما الكافر والمنافق فيقال له ما تقول في هذا الرجل فيقول
لا ادري فيقال له لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا
الى الجنة فيقال له هذا منزلك لو امنت بربك فاما اذ كفرت فان الله
ابدلك به هذا ثم يفتح له بابا الى النار ثم يتمعه الملك بالمطرقة
معه سمعها خلق الله كلهم الا الثقلين قال بعض اصحابه يا رسول الله
ما منا احد يقوم على رأسه ملك بيده مطرقة الا هيل عند
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين وفي

مطلب في سؤال القبر

المسند نحوه

المسند نحوه من حديث البراء بن عازب ورواه المنهال بن عمرو عن
زاذان عن البراء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض
روح المؤمن وقال فيأتيه آت يعني فيقعده فيقول لها ربك وما دينك وما
نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينهره
فيقول لا ما ربك وما دينك وما نبيك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك
حين يقول ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة
فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبي محمد فيقال له صدقت وهذا
حديث صحيح وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو وعن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال اذا قيل له
في القبر من ربك وما دينك وما نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام
ونبي محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به
وصدقت به فيقال له صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه
تبعث وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء
بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض روح المؤ
من قال فترجع روحه في جسده ويأتيه ملك فيقعده فيقول له ربك الله
فينتهره فيقول ربي الله ويتهره انه فيقول لا ما ربك فيقول ربي الله
فيقول لا ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقول له ما هذا الرجل
الذي بعث فيكم فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له
وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك

قول الله تبارك وتعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة رواه ابن حبان في صحيحه والامام احمد وفي صحيحه ايضا
من حديث ابي هريرة رفعه قال ان الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون
عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند راسه والزكاة
عن يمينه وكان الصيام عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة
والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى من
راسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول
الزكاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلي مدخل
فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة
والمعروف والاحسان الى الناس ما من قبلي مدخل فيقال له اجلس
فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال ارأيت عما
كنت تسأل عنه فيقول دعوني حتى اصلي فيقال له انك ستفعل فاخبرنا
عما نسالك فيقول وعما تسألوني فيقال له ارأيت هذا الرجل الذي
كان فيكم ما ذا تقول فيه وما تشهد به عليه فيقول ايّ محمد صلى الله
عليه وسلم فيقال نعم فيقول اشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
جاء نا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك (ذكر)
حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له ما
مد بصره ويفتح له فيه ثم يفتح له بابا الى الجنة فيقال له
انظر الى ما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يجعل
نسمه في النسيم الطيب وهو طير خضر معلق بشجر الجنة

ويعاد الجسد

وسجاد الجسد الى بلاده من الشراب وذلك قوله الله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله
الظالمين ولا يستطل هذا الفصل المعترض فالمعنى والشاهد
والحاكم بل وكل مسلم اشد ضرورة اليه من الطعام والشراب و
النفس وبالله التوفيق

فصل

ومنها
قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور
حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق فتامل هذا المثل ومطابقته لحال من
اشرك بالله وتعلق بغيره وجعل ذلك وهذا التشبيه امر ان احدهما
ان يجعله تشبيها مركبا وهو ان يشبه من اشرك بالله وعبد
معه غيره برجل قد تشبب الى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه
نجاة فصور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفه الطير
في الهوى فتفرق منه قطعا فحواصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به في بعض المطارح البعيدة وعلى هذا لا ينظر الى كل فرد من افراد
المشبه ومقابلته من المشبه والثاني ان يكون من التشبيه
المفرق فيقابل كل واحد من اجزاء الممثل بالممثل به وعلى هذا
فملكن قد شبه الايمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه
بالسماء التي هي مصعده ومهبطه فمنها يهبط الى الارض واليها
يصعد منها وشبه تارك الايمان والتوحيد بالساقط من السماء
الى اسفل سافلين حتى التقطيع الشديد والآلام المتراكمة

والطير التي تخطف اعضاءه ويمزقه كل ممزق فاما الشياطين التي يرسلها
الله سبحانه عليه تؤزه ازا وتزعجه وتقلقله الى مكان هلاكه
فكل شيطان له منزعة من دينه وقلبه كما ان لكل طير مزعة من لحمه
واعضائه والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي
يحمله على القائه نفسه في اسفل مكان والبعد من السماء

فصل

ومنها قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا
الله حق قدره ان الله لقوي عزيز حقيق على كل عبد
ان يسمع قلبه هذا المثل ويتدبره حق تدبره فانه يقطع
مواد الشرك من قلبه وذلك ان المعبود اقل في جملة ان يعبد
على اتخاذ ما يمنع عابده واعدام ما يضره والالهة التي يعبدها
المشركون من دون الله لا تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا
كلهم بخالقه فكيف ما هو اكبر منه ولا يقدرون على الانتصار
من الذباب اذ اسلبهم شيئا مما عليهم من طيب وخوه فيستنقذوه
منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من اضعف الحيوان
ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم اياه فلا اعجز
من هذه الالهة ولا اضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها
من دون الله وهذا المثل من ابلغ ما انزل الله سبحانه في
بطلان الشرك وتجهيل اهله وتقبيح عقولهم ونفوسهم
على ان الشيطان قد تلاعب بهم اعظم من تلاعب الصبيان بالكرة

حيث اعطوا

حيث اعطوا الالهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع
المقدورات والاحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع
المخلوقات وان يصمد الى الالهة في جميع الحاجات وتفريج الكربات
واغاثة اللهفات واجابة الدعوات فاعطوها صورا وتماثيل
يمتنع عليها القدرة على فعل مخلوقات الالهة الحقة واذلها و
اصغرها واحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه وادل من
ذلك على عجزهم واستغنا الهيتهم ان هذا الخلق الاذل الاقل
العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيأ واستلبهم اجتمعوا على
ان يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه ثم سوى بين
العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله ضعف الطالب والمطلوب
مثل الطالب العابد والمطلوب المعبود هو عاجز مخلوق بعاجز
وضعيف هو سوية بين السائل والمسؤل. وهو سوية بين الالهة
والذباب في الضعف والعجز وعلى هذا فقيل الطالب الالهة الباطل
والمطلوب الذباب وطلبه منها استنقاذه منه وقيل الطالب الذباب
والمطلوب الالهة فالذباب يطلب منها ~~[illegible]~~ يأخذه
مما عليه والصحيح انه اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد والمعبود
والمستلب فيما جعل هذا الهامع القوي على الغرض ما قدروه حق قدره
ولا عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه

فصل

ومما قبله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون تضمن هذا المثل

ناعقا ای مصوتا بالغنم وغیرها ومنعوقا به وهو الدواب مثل الناعق
العابد وهو الراعی للضأن والصنم هو المنعوق به المدعو وانتفاء
الکل وفی دعائه کل من ینعق بما لا یسمعه هذا قول طائفة منهم
عبد الرحمن بن زید وغیره واستشکل صاحب الکشاف وجماعة
معه هذا القول وقالوا قوله الا دعاء وندا لا یتأتی عد علیه لان الاصنام
لا تسمع دعاءه ولا ندا وقد اجیب عن هذا الاستشکال
بثلاثة اجوبة احدها ان الآیة زائدة والمعنی بما لا یسمع
دعاء وندا قالوا وقد ذکر ذلک الاصمعی فی قول الشاعر
صاح هل تعقل او تناجیه ای ما یتعقل مناجاته وهذا
جواب فاسد فان الآیة لیست من هذا الکلام الجواب الثانی
ان التشبیه وقع فی مطلق الدعاء من حصول صفات المدعو الجواب
الثالث ان المعنی انما مثل هؤلاء فی دعائهم الهتهم الی لا
تفقه دعاءهم کمثل الناعق بغنمه ولا ینتفع منها بغنمه شیئا
غیر انه فی دعاء ونداء وکذا المشرک لیس له من دعائه وعبادته
الا العنی وقیل المعنی ومثل الذین کفروا کالبهائم التی لا تفقه
ما یقوله الراعی اکثر من الصوت فالراعی هو داعی الکفار والکفار
هم البهائم المنعوق بها قال سیبویه المعنی ومثل
ما یصحب ومثل الذین کفروا کمثل الناعق والمنعوق به وعلی قوله
فیکون المعنی ومثل الذین کفروا ودعائهم کمثل الغنم والناعق
بها ولک ان تجعل هذا من التشبیه المرکب وان تجعله من
التشبیه

التشبيه المفرق فان جعلته من المركب كان تشبيها للكفار وعدم تفقههم
وانتفاعهم بالقرآن الى منعق بها الراعي فلا يسمع من قوله الا غير الصوت
المجرد الذي هو الدعاء والنداء وان جعلته من التشبيه المفرق
فالذين كفروا بمنزلة البهائم ودعاؤهم الى الطريق والهدى بمنزلة
الذي ينعق بها ودعاؤهم الى الهدى بمنزلة النعيق وادراكهم
مجرد الدعاء والنداء كادراك البهائم مجرد الصوت الناعق والله اعلم

فصل ومنها قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
الاية شبه تعالى نفقة المنفق وسبيله سواء كان المراد به الجهاد
او جميع سبل الخير فكل من بذر بذرا فانبتت كل حبة منه
سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة والله يضاعف
لمن يشاء بحسب حال المنفق وايمانه واخلاصه واحسانه
ونفع نفقته وقدرها وموقعها منها فان ثواب الانفاق
يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الايمان والاخلاص والتثبيت
عند النفقة وهو اخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره
باخراجه وسمحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه منه
فهو ثابت القلب عند اخراجه غير جزع ولا هلع ولا متبعه
نفسه تشح بيده وتعاوده وينفاوت بحسب نفع الانفاق
ومصارفه كما اوقعه وبحسب طيب المنفق وزكاته في
ارضها زكية بحسب بذره وطيبة ارضه ومع هذا ويجاهد

المذنب بالسعي وفي الدغل والعناب الغريب عنه فاذا اجتمعت هذه
الامور ولم يحل قلع الزرع فارد فالحقه صاحبه جاء امثال
الجبال وكان مثله كمثل جنة بربوة وهي المكان المرتفع الذي
يكثر فيه نصب الشمس والرياح فتقرب فيه الاشجار هناك اعم تزيده
فيدل على هذا المعنى مطر عظيم القطر متتابع فسرورها ونماها
فاتت اكلها ضعفي صاحبه عنها سبب ذلك الوابل فان لم
يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها تركوا على
الطل ويتمم عليه معنى ذكر نوعي الوابل والطل استارة الى
نوع الانفاق الكثير والقليل فمن الناس من ينفق انفاقه وابل
ومنهم من ينفق انفاقه طل والله لا يضيع مثقال ذرة فان
عرض هذا العامل بالفراغ عياله ويبطل حسناته كان
بمنزلة رجل له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار
وله فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فاذا كان يوم استيفاء
الاعمال واحراز الاجور وجد هذا العامل عمله قد اصابه
باعصار صاحب هذه الجنة المحترقة حينئذ اشد منا حسرة
هذا على جنته فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة بسلب
النعمة عند شدة الحاجة اليها مع عظم قدرها ومنفعتها و
الذي ذهبت عنه قد اصابه الكبر والضعف فهو احوج ما كان الى
نعمه ومع هذا فله ذرية ضعفاء لا يقدرون على نفعه والقيام

بمصالحه

بمعالجه بل هو محتاج الى نعمه حيث انه ما كان لضعفه
وضعف ذريته فكيف يكون حال هذا اذا كان له بيتان عظيم فيه
من جميع العواكه والتمر وصلطان تمره اجل العواكه وانفعها
ثم النخل والاعناب فعلله يقوم بكفايه وكفايه ذريته ما صح
يوما واحدا وجده محمد قاكله كالصنم فاذا حسره اعظم من
حسره قال ابن عباس هذا مثل الذى يخرج له بالفساد
فاخر عمره وقال مجاهد هذا مثل المرائى وطاعه الله
حتى يموت وقال السدى هذا مثل المرائى وتقبله
الذى يتقى لغير الله يتقطع عنه نفعها احوج ما يكون اليه وسال
عمر بن الخطاب اصحابه عن هذه الايه قالوا الله اعلم فغضب
عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم قال ابن عباس فى نفسى شىء يا
امير المؤمنين قال قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك قال ضرب
مثل لعمل قال اى عمل قال لرجل غنى يعمل بالحسنات ثم بعث
الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى اغرق اعماله كلها
الحسن هذا مثل ملك والله ما يجعله مثل الناس يشيخ كبير ضعيف
ضيعه وكثير صبيانه افقر ما كانوا الى جنته وانا احلكم والله افقر
ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا

فصل

فان عرضت لهذه الاعمال مثل الصدقه ما يبطلها من المن
والاذى يبطل الثواب لانه كانت سبيله مثل صاحبها
وبطلان عمله كمثل صفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب

فاصابه وابل وهو المطر الشديد فتركه صلدا لا شيء عليه وتامل
آخر هذا المثل البليغ واسقطها على اجزاء الممثل به تعرف عظمة
القرآن وجلالته فان الحجر هنا مثل قلب هذا المرائي والمنافق
والمؤذي فقلبه فيه منعوته عن الايمان والاخلاص والاحسان
بمنزلة الحجر والعمل الذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على
ذلك الحجر فتمسه ما يحكمه وصلابته تمنعه من انبات والنبات
عند نزول الوابل فليس له مادة مستعملة بالذي يقبل الماء
ويتبته لكل وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل
الامر والنهي والقضاء والقدر ما ذا نزل عليه وابل الوحي انمحق
عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فتركه بالحقيقة حجرا
صلدا لا نبات فيه وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي
وتعقله لا يقدر على ثمرة العلم على شيء من اعمال ما
كان اليه وبالله التوفيق

فصل ومنها قوله
تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون
في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت الاية هذا
مثل ضربه الله تعالى لمن انفق ماله في معاداة الله ومحاربته
فشبه تعالى ما ينفقه هؤلاء من اموالهم في المكارم والمفاخر
وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما

ينتفعون به

ينتفع به ولا يصل وبه عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي
زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فاصابته ريح شديدة
البرد جدا يحرق بردها ما نمى عليه من الزروع والثمار فاهلكت ذلك الزرع ولم يسلم واحترقت الصرة فعدل
البرد الشديد وقيل النار قال ابن عباس قال ابن الانباري
وانما وصفت النار بانها صر لصرير بها عند الالتهاب وقيل
الصر الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها والاول
اظهر لانه مثل ازمة فهو برد شديد محرق بيبسه للحرث
كالحرقة النار وفيه صوت شديد وفي قوله اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم تنبيه على ان اصابتها لحرثهم فهو
ظلمهم الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى اهلك زرعهم
وايبسه فظلمهم هو الريح التي اهلكت اعمالهم ونفقاتهم واتلفها

فصل وفيما قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الاية هذا مثل
ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد فالمشرك بمنزلة عبد
يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون والرجل
الصديق الخلص فالمشرك لما كان يعبد الهة شتى
شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون وخدمة لا يمكنه ان
يبلغ رضاهم اجمعين والموحد لما كان يعبد الله وحده

فمثله كمثل عبد لرجل واحد مذعن له وعلم بمقاصده و
عرف الطريق الى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه
بل هو سالم لمالكه مناغر متنازع فيه مع راحة مالكه به ورحمة
له وشفقته عليه واحسانه وتوليه لمصالحه فهل يستوي
هذان العبدان وهذا امثل الامثال فان الخالص لمالك
واحد يستحق منه معونته واحسانه والتفاته اليه وقيامه بمصالحه
ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين الحمد لله بل اكثر
لا يعلمون **فصل** ومنها قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم
كفر امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا الى اخر السورة فاشتملت
هذه الآيات على ثلاثة امثال مثل للكفار ومثل للمؤمنين
فتضمن مثل الكفار ان الكافر يعاقب على كفره وعداوته
لله ورسوله واوليائه وان لم ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين
المؤمنين من نسب او وصلة صهر او سبب من اسباب الا
تصال فان الاسباب كلها تنقطع يوم القيمة الا ما كان منها
متصلا بالله وحده لا شريك له على يدي رسوله فلو نفعت الوصلة
القرابة او المصاهرة او النكاح مع عدم الايمان لنفعت
الوصلة التي كانت بين نوح ولوط وامرأتيهما فلم يغنيا عنهما من
الله شيئا وقيل ادخل النار مع الداخلين وقطعت الاية حيث
طمع من ركب معصية الله وخالف امره ورجا ان ينفعه صلاح

غيره من

غيره منهم بل او اجنبي ولو كان ينفعهم في الدنيا استمر الاتصال ولا
اتصال فوق اتصال النبوة والابوة والذي وحيه ولم يغن نوح
عن ابيه ولا ابراهيم ولا نوح ولوط عن امرأتيهما شيئا
قال الله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة
يفصل بينكم وقال تعالى يوم لا يملك نفس لنفس شيئا وقال
واتقوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
ان وعد الله حق وهذا كله تكذيب لاطماع المشركين الباطلة ان
ما تعلق ابه من دون الله من قرابة او صهر او نكاح او صحبة
ينفعهم يوم القيمة او يجيرهم من عذاب الله او يشفعهم عند الله
وهذا رسل ضلال بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يقبله
الله وهو الذي بعث الله جميع رسله وانزل جميع كتبه بابطاله
ومحاربة اهله ومعاداتهم **فصل** واما المثلات
اللذان للعرض فاحدهما امرأة فرعون ووجه المثل ان اتصال
المرء من بالكافر لا يضره شيئا اذا فارقه في كفره وعمله
ومعصيته الغير لا تضر المطيع شيئا في الآخرة وان تضرر بها في
الدنيا بسبب العقوبة التي تحل باهل الارض اذا اضاعوا امر الله
فيها عامة فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من اكفر
الكافرين ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالها بهما وهما رسولا

ربه العالمين المثل الثاني للمؤمنين مريم التي لان وجد لها لا
مؤمن ولا كافر فذكر ثلاثة اصناف النساء المرأة الكافرة التي لها
وصلة بالرجل الصالح والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل
الكافر والمرأة الغريبة التي لا وصلة بينها وبين احد فالاولى
لا ينفعها وصلتها وسببها والثانية لا يضرها وصلتها وسببها
والثالثة لا يضرها عدم الوصلة ثم اعلم في هذه الامثال من الاسرار
سر اليد سوية ما يناسب سياقة السورة فانها سيقت في ذكر
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه
واذهن ان لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الاخرة لم ينفعهن
اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح
ولوط اتصالها بهما وهذا انما ضرب في هذه السورة مثلا لاتصال
النكاح دون النوع به قال يحيى بن سلام ضرب الله المثل الاول لحفصة
عائشة وحفصة ثم ضرب لها المثل الثاني لحرضهما على التمسك
بالطاعة وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم ايضا اعتبار اخر وهو
انهم لم يضرها عند الله شيئا مذ فاعداء الله اليهود لها وتسبهم اياها
وانها الى ما برءها الله عنه مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة
على نساء العالمين فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق
فيه وفي هذه تسلية لعائشة ام المؤمنين ان كانت السورة
نزلت بعد قصة الافك وسوء ظنها نفسها على ما قال فيها الكا
ذبون ان كانت قبلها كما ذكر التمثل بامرأة نوح ولوط تحذير

لها ولحفصة

لها ولحصته مما اعتمد ناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم فتضمنت
هذه الامثال التحذير لها والتخويف والتحريض لها على الطا
عة والحث عليه والتسلية وبعث طمأنينة النفس لما اوذي منها
وكذب عليه واسرار التنزيل فوق هذا جل من وراء اسرار
الامثال التي لا يعقلها الا العالمون قالوا فهذا بعضها اشتمل
عليه القرآن من التمثيل والقياس والجمع والفرق واعتبار
العلل والعلامات وربط نظائرها باحكامها تأمل واسدد الا قالوا
وقد ضرب الله سبحانه الامثال وصرفها قدرا وشرعا وبعثه
ومنامات ودعا عباده على الاعتبار بذلك وحثهم من النبي
الى النظر واسدد الا هم بالنظر على النظير هذا
اصل عبارة الرؤيا التي هي جزء من اجزاء النبوة ونوع من انواع الوحي
فانها مبنية على القياس والتمثيل واعتبار المعقول بالمحسوس
الا ترى ان الشيباني في التأويل كالمتمم بنا على الدين فما كان
فيها من قصر او طول او نظافة او دنس فهو في الدين كذلك الى
صلى الله عليه وسلم العين بالدين والعلم والعقل المتنزل بينهما
ان كلا منهما يسير صاحبه ويحمله بين الناس فالعين يسير بدنه
والعلم والدين يسير روحه وقلبه ويحمله بين الناس ومن
هذا تأويل اللبن بالفطرة لما في كل منهما من التغذية الموجبة
للحياة وكمال النشأة وان الطفل اذا حكم فطرته لم يعدل

عن اللبن فهو مغطوب على ما سواه وذلك فطرة الاسلام
الى قطر الله عليها الناس ومن هذا تاويل البقر باهل الدين
والخير الذين بهم عمارة الارض كما ان البقر كذلك مع عدم شرها مع
كثرة خيرها وحاجة الارض واهلها اليها وهذا الثور الذي صلى الله
عليه وسلم تنحر كان ذلك لخراب اصحابه وهذا ذلك تاويل الزرع
والحرث بالعمل لان العامل مزارع للخير والشر ولابد انه يخرج
الدم بذرة كما يخرج الكاذب مزرعه ما بذره فالدنيا مزرعة
والاعمال البذار يوم القيمة يوم طلوع الزرع وحصاده
ومن ذلك تاويل الحشيش المقطوع الملقى بالمنافقين والجا
مع بانها ان المنافق لا روح فيه ولا ظل ولا ثمر فهو بمنزلة
الحشيش الذي هو كذلك وهذا شبه تعالى المنافقين بالحشيش
المسند لانهم اجسام خالية عن الايمان والخير وفي كونها مسندة
نكتة اخرى وهي ان الحشيش اذا انتفع به جعل في سقف او جدار
او غيرها من الانتفاع وما دام مترو كا فارغا غير منتفع به
جعل مسندا بعضه الى بعض فشبه المنافقين بالحشيش
والحالة التي لا ينتفع بها وهذا ذلك تاويل النار بالغنية ال
فيها وكل منهما ما يعم عليه ويتصل به فهذه حرف الاشجار و
المتاع والابدان وهذه حرف القلوب والابدان ديان
والاديان ومن ذلك تاويل النجوم بالعلماء والاشراف
لحصول هداية اهل الارض بكل منهما ولان انتفاع الاشراف بين الناس

كانتفاع

كارتفاع النجوم ومن ذلك تأويل الفيث بالرحمة والعلم والقرآن
والحكمة وصلاح حال الناس ومن ذلك خروج الدم في التأويل
يدل على خروج المال والعدد المشترك انما قوام البدن بكل وا
حد منها ومن ذلك الحدث في التأويل يدل على الحدث في الدين
فالحدث الاصغر ذنب صغير والحدث الاكبر ذنب كبير
ومن ذلك اليهودية والنصرانية في التأويل بدعة في الدين
فاليهودية تدل على فساد القصد واتباع غير الحق والنصرانية
تدل على فساد العلم والجهل والضلال ومن ذلك الحديد في التا
ويل وانواع السلاح تدل على القوة والنصر بحسب جوه
ذلك السلاح ومشتبه ومن ذلك الرائحة الطيبة تدل على
الثناء الحسن وطيب القول والعمل والرائحة الخبيثة بالعكس
والميزان يدل على العدل والجراد يدل على الجنود والعساكر و
العوغاء الذي يموج بعضهم في بعض والنحل يدل على من يأكل طيبا
ويعمل صالحا والديك رجل عالي الهمة بعيد الصيت والحية
عدو وصاحب بدعة هلك سمه والحشرات اوغاد الناس
والخلوق رجل اعمى يتكفف الناس بالسؤال والذيب رجل
غشوم ظلوم غادر خاتر والثعلب رجل غادر محتال مكار
مراوغ عتا والكلب عدو صنعتي كثير الصخب والشر في كلام
وشبابه او رجل متبوع هواه موثر له على دينه والسنور
العبد والخادم الذي تسلط على اهل الدار والفارة امرأة سوء

فاسقة فاجرة والاسد على كل رجل قاهر مسلط والكبش الرجل
المتبوع المتبوع ومن كل ات التعبير انكل ما كان وعاء للماء
فهو دال على الاناث وكل ما كان وعاء للمال كالصندوق والكيس
والجراب فذال على العلب وكل مدخول بعضه في بعض وممتزج
ومختلط فذال على الاشتراك والتعاون والنكاح وكل سقوط
وخروج من علو الى سفل مذموم وكل صعود وارتفاع فمحمود
اذا لم يجاوز العادة وكان مما يليق به وكل احراق النار فحمود
لسرعي صلاحه ولاصلاحه وكذلك ما انكسر من الاوعية التي يشعب
منها وكل ما خطف وسرق من حيث لا يرى خاطفه وسارقه فانه
ضايع لا يرجى وما عرف خاطفه او سارقه او مكانه او لم يغب
عن عيني صاحبه فانه يرجى عوده وكل زيادة محمودة في
الجسم والقامة والسان والذكر واللحية واليد والرجل فزيا
دة خير وكل زيادة متجاوزة للحد في ذلك فمذمومة وشر وفضيحة
وكل ما رأى من اللباس في غير موضعه المختص به فكرمة كالقلنسوة
في الرجل والخاتم في اليد والعقيدة في الساق وكل ما
استفضل او استخلق او امرأة استوزر او خطب بما لا
يليق به ذلك فانه يدل على شر وفضيحة وشهرة قبيحة
وكل ما كان من الملابس كخلقة اهون على لابسه من جديده والجوز بال مكنوز فان تقطع كان قبيحا
وشرا ومن صار له ريش او جناح صار له مال فان طار سافر

وخروج

وخروج المريض من داره ساكنا يدل على صوته ومتكلما يدل على
حياته والخروج من الابواب الضيقه يدل على النجاة والسلامة
من شر وضيق هو فيه وعلى توبة ولاسيما ان خرج الى فضاء
سعة فهو خير محض والسفرة والنقلة من مكان الى مكان انتقال
من حال الى حال بحسب حال المكانين ومن عاد في المنام الى حال
كان فيها في البغضة عاد اليه بمفارقته من خير او شر وموت
الرجل ربما دل على توبته ورجوعه الى الله لانه المآب رجوع الى الله
قال الله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق والمرهون ما سوى الدين
او كبق عليه الله والصبيه ودواع المريض اهله وقد يدل
له دال على صوته وبالجملة فما تقدم من امثال القرآن
كلها اصلح وقوى عند اهل العلم التعبير واصول التعبير الصحيح انما اخذت
من مشكات القرآن فالسفينة تعبر بالنجاة لقوله تعالى فانجيناه و
اصحاب السفينة وتعبر بالتجارة والخشب بالمنافقين والجحا
رة بقساوة القلوب والبيض بالنساء واللباس بما يضاهيه
والشرب بالمال بالفتنة واكل لحم الرجل بغيبته والمفاتيح بالكتب
والخزائن والاموال والفتح للعبرة بالدعاء والنصر و
الملك يرى في محله لاعادة بالله بيد خوفا يعبر باذلال اهلها
وفسادها والجبل يعبر بالعهد والحق والعصمة والناس قد
يعبر بالاماء والبقل والبصل والثوم والعرس يعبر بالمناضدة
بانه قد استبدل شيئا ادنى بما هو خير منه من مال او رزق

فاعلم ثانيه

او علم او زوجة او ولد والمرض يعبر بالنفاق والشك وشهوة
الزنا والطفل الرضيع يعبر بالعفو لقوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والتعانق بالنساء والبكاء بالعمل
الباطل لقوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد والنور
يعبر بالهدى والظلمة بالضلال وصف هنا هنا قال
عمر بن الخطاب لحابس بن سعد الطائي وقد رأى الهلال مع
رأيت الشمس والقمر يعقلان والنجوم بينهما تصفق قال مع
اني كنت قال مع القمر على الشمس قال كنا مع آية المحقة
اذهب فلست تعمل لي عملا ولا تعقل الا فيما من الامر فتعقل
ثم صفق وهلل لعابر رأيته الشمس والقمر دخلا في جوفي
فقال لمعبر واجح يعقل له تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر يعقل الانسان يومئذ اين المفر وقال رجل
لابن سيرين رأيت كأني ابعة ارتفعت حتى طلعت الشمس فقال
ان صدقت رؤياك عشت له تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
ثم قبضناه الينا يسيرا واخذ هذا التأويل انه حمل زق ثم اتبعه ايام وقال له
اخر رأيتك كيس مملوء ارضه فقال رأيت ميتا ثم قرأ فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض والنخلة تدل على
الرجل المسلم وعلى الكلمة الطيبة والحنظلة تدل على ضد ذلك
والصنم يدل على العبد السوء الذي لا ينفع والبستان يدل على

العمل

العمل واحترازه يدل على حبوطه كما تقدم في امثال الوزن ومن
رأى انه ينقض غزلا او شعرا بعيدة مرة ثانية فانه ينقض
عهدا او ينكثه والمشي سويا في الطريق مستقيم يدل على
استقامته على الصراط المستقيم والاخذ في نبات الطريق يدل
على عدوله عنه اذا خالفه واذا عرضت له طريقان ذات
يمين وذات شمال فسلك احدهما فانه من اهلها وظهر عورة
الانسان له ذنب يكبه ويفتضح به وهو به وعزاره من يتقي
فجاءة وظفر وغرفة في الماء فتنة في دينه ودنياه وتعلقه
بحبل بين السماء والارض تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله وعهده
واعتصامه بحبله فانه انقطع به فارق العصمة الا ان يكون
ولي امر فانه يقتل او يموت فالرؤيا امثال مضروبة بعضها
الملك الذي قد وكله الله بذلك بالرؤيا فيستدل الرائي بالمضروب
له من المثل على نظيره ويعبر منه الى شبهه وهذا سمي تأويلها
معبرا وهو تفعيل من العبور كأن الانقاض يسمى اعتبارا
وعبورا لعبوره المتعقل من النظير الى نظيره ولولا ان حكم
الشيء حكم مثله وحكم النظير حكم نظيره لبطل هذا التعبير و
الاعتبار ولما وجد اليه سبيلا وقد اخبر الله سبحانه انه
ضرب الامثال لعباده في غير موضع من كتابه وامر باستماع
امثاله ودعا عباده الى تعقلها والتفكر فيها والاعتبار
بها وهذا هو المقصود بها تم آخره والحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

فصل ثالث

كتبه عفى عنه بمنه وكرمه
امين احمد الخياطي غفر له

شهدت بان الله لا رب غيره ... وان محمدا رسول الله للثقلين
وان عيسى عبد الله رسولا ... وكلمة القاها الى مريم بلاميني
وان الجنة والنار حق ... امام يوم مخلوقان الى الابد الحيين

غيره

لو كان في العلم بعد التقى شرفا ... لكان اشرف خلق الله ابليسا

لشيخنا عبد الرزاق شيخنا العلامة محمد علي رسلان الحنبلي

العلم افضل ما يحصله الفتى ... بعد الحديث وبعده فقه لازم
فاحرص على تحصيله مراعيا ... وادم مطالعة الفتى بالعاكم
انشدنا شيخنا الشيخ عثمان بكتبه لنا المكي محدث البصرة لنفسه

حذارا حذارا من عتاب شيخ ... فان الشيخ معروض الحقوق
فان الله يغفر كل ذنب ... سوى ما للمشايخ من عقوق
فلا تطلب رضا شيخ علوما ... فذى حمقا يؤدي للفسوق
فطه شيخه روح جبريل يرضى ... عن الله تعالى ذا وثوق